نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٩٠٨ — فهو أقاموا ديناً ولا أبقوا دنيا

منهاج السنة النبوية لابن تيمية : إن الله بعث رسوله (صلى الله عليه وسلم) بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها ، فإذا تولى خليفة من الخلفاء كيزيد وعبد الملك والمنصور وغيرهم فإما أن يقال : يجب منعه من الولاية وقتاله حتى يتولى غيره كما يفعله من يرى السيف فهذا رأى فاسد فإن مفسدته أعظم من مصلحته ، وقل من خرج على إمام ذى سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة ، وكابن الأشعث الذى خرج على عبد الملك بالعراق ، وكالذين خرجوا على المنصور بالمدينة والبصرة وأمثال هؤلاء . وغاية هؤلاء إما أن يغلبوا وإما أن يغلبوا ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة ، فإن عبد الله بن على قتل خلقاً كثيراً وقتله أبو جعفر المنصور .

وأما أهل الحرة وابن الأشعث فهزموا وهزم أصحابهم ، فلا أقاموا ديناً ، ولا أبقوا دنيا ، والله (تعالى) لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا . وإن كان فاعل ذلك من عباد الله المتقين ومن أهل الجنة فليسوا أفضل من على وطلحة والزبير وعائشة وغيرهم ، ومع ذلك لم يحمدوا ما فعلوه من القتال وهم أعظم قدراً عند الله وأحسن نية من غيرهم .

وكذلك أهل الحرة كان فيهم من أهل العلم والدين خلق ، وكذلك أصحاب ابن الأشعث كان فيهم خلق من أهل العلم والدين والله يغفر لهم كلهم .

٩٠٩ — النداء صفة الله للعباد وصفة العباد لله

الموافقات للشاطبي : إن القرآن أتى بالنداء من الله تعالى للعباد ومن العباد لله سبحانه ، فحين أتى من قبل الله للعباد جاء بحرف النداء المقتضى للبعد ثابتاً غير محذوف كقوله تعالى : [يا عبادى الذين آمنوا ، إن أرضى واسعة] [قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة الله] [قل : يا أيها

وعدت فرأيتكم حيث كنتم ... متى يصبح عندنا علماء يجتهدون ، فيقلبون الدين رأساً على عقب ؟ متى ينقذوننا من خلع النعال ، وينقذوننا من الركوع والسجود ؟ لِمَ لا يفعل المسلمون فعلَ النصارى ؟ إنهم يدخلون كنائسهم بنعالهم ، لا تتسخ جواربهم ، فيقفون قليلا يرتلون ... ثم يخرجون لم يتعبوا ، ولم تتسخ سراويلهم ! . لِمَ لا تنشرون هذه الدعوة ؟ آه ! سأنشرها بين طلابى بنفسى ...

وأخرس الكاتب ، وطار لبه ، وخرج ولم يُجب ، وهو يلعنه فى قلبه ألف لعنة ولعنة ... » .

وصحنا جميعاً ... أصحيح هذا ؟ أصحيح ما تقول ؟

قال : لقد شككت عند ما أخبرت ؟ ولكنى قصدتُ إلى الكاتب بنفسى فحدثنى كما أخبرت .

قلنا : وكيف يسكتُ عنه علماء الدين ؟ كيف تسكت عنه وزارة المعارف ؟ أيمثل هؤلاء تحفظ الاستقلال ؟ أتحفظه بإفساد العقائد والإلحاد والتخنث ونتف الحواجب ؟ أتحفظه بالوقاحات ؟ أهذا أستاذ قد اؤتمن على تثقيف الطلاب ؟

قال صاحبى : لا تلم هذا أيضاً ؛ فمن عدم المروءة والدين طلب خلع النعال والتشبه بالنصارى ورفع الركوع والسجود من الصلاة . ولا تلم وزارة المعارف فهى أم الفوضى . ثم لا تلم علماء الدين ، فهم فى أمر دنياهم لاهون ، وعن دينهم ساهون . إنما لُمْ من نصبه لتثقيف التلاميذ ولم يخبروه ... آهٍ لو كان هنا الطنطاوى إذن لجرد قلمه لنصرة الدين والحق والشرف . ولأصلى هؤلاء ناراً حامية تشويهم شيأ .

قلت : أما قلتُ لكم لقد مُسخ الزمان فجاء هؤلاء المسوخ !

فانبرى ، رجل كان بقربنا يسمعنا ، وقال : كل ما ذكرتموه ليس بشىء ... فعندى ما هو أعظم وأدهى ...

قلنا : هاتِ ما عندك هات .

(الكلام بقية) (دمشق) صلاح الدين المنجد

الناس ، إنى رسول الله إليكم جميعاً] فإذا أتى بالنداء من العباد إلى الله تعالى جاء من غير حرف نداء ثابت بناء على أن حرف النداء للتنبيه فى الأصل ، والله منزه من التنبيه : [ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا] [ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا] ... فحصل من هذا التنبيه على أدبين : أحدهما ترك حرف النداء والآخر استشعار القرب، كما أن فى إثبات الحرف التنبيه على معنيين: إثبات التنبيه لمن شأنه الغفلة والإعراض والغيبة وهو العبد ، والدلالة على ارتفاع شأن المنادى وأنه منزه عن مدانأة العباد، إذ هو فى دنوه عال ، وفى علوه دان ، سبحانه !

٩١٠ — تهنئة بعزل

الشريشى : من غرائب التكاتب فى العزل ما كتب به أحمد ابن مهران إلى معزول : بلغنى (أعزك الله) انصرافك من عملك ، فسررت بذلك ولم أستفظعه لعلمى بأن قدرك أجل وأعلى من أن يرفعك عمل تتولاه ، أو يضعك عزل عنه . والله لو لم تختر الانصراف وترد الانعزال لكان فى لطف تدبيرك وثقوب رويتك وحسن تأتيك — ما تنزيل به السبب الداعى إلى عزلك والباعث على صرفك . ونحن إلى أن نهنيك بهذا الحال أولى بنا من أن نعزيك إذ أردت الصرف فأوتيته ، وأحببت الاعتزال فأعطيته ، فبارك الله لك فى منقلبك ، وهناك النعم بدوامها ، ورزقك الشكر الوجب المزيد لك فيها .

٩١١ — تمتع من الدنيا فإنك فانى

سعيد بن حميد[1] :

تمتع من الدنيا فإنك فانى ... وإنك فى أيدى الحوادث عانى
ولا يأتين يوم عليك وليلة ... فتخلو من شرب وعزف قيان
فإنى رأيت الدهر يلعب بالفتى ... وينقله حينين تختلفان[2]
فأما التى تمضى فأحلام نائم ... وأما التى تبقى لها فأمانى

٩١٢ — . . . ما بعت الضيعة

شرح المقامات للشريشى : كان بالبصرة رجل ذو ضياع فأنفق ماله فى الشراب، فباع ضيعته ، فلما تم البيع قال له المشترى : تأتينى بالعشى أدفع لك المال وأشاهدك . فقال : لو كنت ممن يرى بالعشى ما بعت الضيعة . قال محمود بن الحسن الكاتب بعت دارى فأصابنى مثل هذا فقلت :

أتلفت مالى فى العقار ... وخرجت فيه عن عقارى
حتى إذا كتب الكتاب (م) وجاءنى رسل التجار
قالوا الشهادة بالعشى (م) ونحن فى صدر النهار
فأجبتهم ردوا الكتاب (م) ولا تعنوا بانتظارى
لو كنت أظهر بالعشى (م) لما سمحت ببيع دارى

٩١٣ — ائتمنه قوم فأدى إليهم الأمانة

تاريخ الطبرى : أحمد بن يوسف بن القاسم : سمعت ابراهيم ابن صالح يقول : كنا فى مجلس ننتظر الإذن فيه على المنصور ، فتذاكرنا الحجاج ، فمنا من حمده ، ومنا من ذمه ، فكان ممن حمده معن بن زائدة ، وممن ذمه الحسن بن زيد ، ثم أذن لنا ، فدخلنا على المنصور ، فابتدى الحسن بن زيد فقال : يا أمير المؤمنين ما كنت أحسبنى أبقى حتى يذكر الحجاج فى دارك وعلى بساطك فيثنى عليه ، فقال أبو جعفر : وما استنكرت من ذلك ؟ رجل استكفاه قوم فكفاهم ، والله لوددت أنى وجدت مثل الحجاج حتى استكفيه أمرى ، وأنزله أحد الحرمين . فقال له معن : يا أمير المؤمنين ، إن لك مثل الحجاج عدة لو استكفيتهم كفوك قال : ومن هم؟ كأنك تريد نفسك ؟ قال : وإن أردتها فلم أبعد من ذلك . قال : كلا لست كذلك ، إن الحجاج ائتمنه قوم فأدى إليهم الأمانة ، وإنا ائتمناك فخنتنا ...

***

معجم البلدان : ذكر الحجاج عند عبد الوهاب الثقفى بسوء ، فغضب ، وقال : إنما تذكرون الساوىء وأما تعلمون أنه أول من ضرب درهماً عليه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وأول من بنى مدينة بعد الصحابة فى الإسلام ، وأول من اتخذ المحامل وأنفق امرأة من المسلمين سبيت بالهند فنادت يا حجاجاه ! فانصل به ذلك ، فجعل يقول : لبيك ، لبيك ، وأنفق سبعة آلاف ألف درهم حتى افتتح الهند ، واستنقذ المرأة ، وأحسن إليها ، واتخذ المناظر بينه وبين قزوين ، وكان إذا دخن أهل قزوين دخنت المناظر إن كان نهاراً ، وإن كان ليلا أشعلوا نيراناً فتجرد الخيل

(١) نسب الشعر فى الأمالى إليه وعزاه العسكرى فى (ديوان المعانى) لمل ديك الجن . (٢) فى رواية : وتنقله حالان .